

خطبه الجمعة - الخطبة ٢٩٣ : خ ١ - الوقت ٤ - لكل وقت عمل ، خ ٢ - الدم المسفوح.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-٠٣-٠٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي
ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ،
وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله سيد الخلق
والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ،
وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما
علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق
حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون
أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

لكل وقت عمله ولكل عمل وقته :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في موضوع الوقت ، وهو موضوع من أخطر الموضوعات ، لأن
الإنسان كما أقول لكم دائماً بضعة أيام ، كلما انقضى منه يوم انقضى بضع منه .
يا أيها الأخوة الأكارم ؛ في خطب الوقت السابقة تحدثنا عن عناية الإسلام قرآنه وسنته بالوقت ،
وأن شعائر الإسلام تؤكد قيمة الوقت ، وتحدثنا عن سرعة انقضاء الوقت ، وتحدثنا عن أن الوقت
إذا مضى لا يعود ، ولا يعوض ، وتحدثنا عن أن الوقت أثمن ما يملكه الإنسان على الإطلاق ،
وتحدثنا عن أن المؤمن يغتتم الوقت ، ويبادر فيه إلى العمل الصالح ، وتحدثنا عن تنظيم الوقت ،
هذه الموضوعات كلها مرت في الخطب السابقة ، واليوم الحديث عن أن لكل وقت عمله ، ولكل
عمل وقته .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ينبغي للمؤمن أن يعرف ما يتطلبه الوقت ، من عمل القلب ، وعمل
اللسان، وعمل الجوارح ، هذا الوقت الذي أنا فيه ، ما ينبغي لي أن أفعله من عمل اللسان ، من
عمل القلب ، من عمل الجوارح ، المؤمن يتحرى أن يتكلم ، وأن يعمل ، وأن يشعر في الوقت
المناسب الشعور المناسب ، والنطق المناسب ، والعمل المناسب .

لذلك يبحث في سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، يبحث ماذا كان يفعل ؟ في هذا الموقف ماذا
كان يقول ؟ في هذه المشكلة ماذا كان ينطق ؟ في هذا الوضع بماذا كان يشعر ؟ في هذه المناسبة

ماذا كان يعمل ؟ لكل وقت عمله ، ولكل عمل وقته ، هذا الموضوع دقيق يجب أن يعيه المسلم وعباً تاماً .

سيدنا الصديق حبيب النبي عليه الصلاة والسلام ، كما قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام :

((لو وُزِنَ إيمان الأمة بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر))

[شعب الإيمان للبيهقي]

هذا الصحابي الجليل حينما أوصى لسيدنا عمر بالخلافة أوصاه بالوصية التالية قال له : يا عمر اعلم أن الله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وأن الله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار . لكل وقت عمله ، ولكل عمل وقته ، القصة التي تعرفونها جميعاً كيف أن رسول عامله على أدريجان ، وأدريجان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت تابعة لخلافته في المدينة المنورة . رسول عامله على أدريجان وصل المدينة في منتصف الليل فكره أن يطرق باب أمير المؤمنين في هذا الوقت المتأخر ، توجه إلى المسجد ، وفيه سمع صوتاً يناجي ربه ، يقول : يا رب هل قبلت توبتي فأهني نفسي أما رددتها فأعاتبها أو فأعزيها ؟ فقال هذا الرسول : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا عمر ، خشي أن يطرق بابه ليلاً فإذا هو بالمسجد يصلي قيام الليل ، قال : يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل ؟ قال : إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي . إن الله عملاً بالليل لا يقبل بالنهار ، وإن الله عملاً بالنهار لا يقبل بالليل ، لكل وقت عمله ، لكل عمل وقته ، أصحاب النبي عليهم رضوان الله كانوا فرساناً في النهار ، رهباناً في الليل . سيدنا عمر رضي الله عنه رأى رجلاً لا يعمل ، ولكنه يقرأ القرآن قال : إنما أنزل هذا القرآن لتعمل به ، اقرأه بالليل ، واعمل به بالنهار ، أفأخذت قراءته عملاً ؟ يبدو أنه اقتدى بالنبي عليه الصلاة والسلام حينما رأى رجلاً في النهار يصلي في غير الصلوات المكتوبة ، ولا يعمل ، فأراد النبي أن يعلمنا درساً بليغاً ، قال : من يطعمك أيها الشاب ؟ فقال : أخي ، قال : أخوك أعبد منك ، أخوك الذي يعمل أعبد منك ، إن الله عملاً بالليل لا يقبل بالنهار ، وإن الله عملاً بالنهار لا يقبل بالليل .

الوقت شيء مهم جداً في حياة الإنسان :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ليس المهم أن يعمل الإنسان كل شيء في أي وقت ، هذا الإنسان الضائع ، هذا الإنسان الجاهل ، هذا الإنسان غير المنضبط ، يعمل على سجيته ، يعمل ما تمليه عليه مصلحته ، ما يمليه عليه الهوى ، هذا الوقت وقت عبادة ، هذا الوقت وقت صلاة الجمعة ، لا وقت النزهة ، هذا الوقت وقت الصلاة المكتوبة ، هذا الوقت وقت أن تجلس مع الأهل ، هذا الذي يفعل ما يشاء في أي وقت شاء ، هذا إنسان متقلت من منهج الله عز وجل ، غير منضبط ، أنت عبد الله ، وقد جاءك من الله خطاب ، هذا الخطاب أمرك بأشياء ، ونهاك عن أشياء ، إنها منهج يجب أن تستقيم عليه .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ألا ترون معي أن الصلاة لها علاقة بالوقت ؟

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾

[سورة النساء : ١٠٣]

ألا ترون معي أن الصيام له علاقة بالوقت ؟

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾

[سورة البقرة : ١٨٥]

ألا ترون معي أن الحج متعلق بالوقت ؟

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾

[سورة البقرة : ١٩٧]

ألا ترون معي أن الزكاة متعلقة بالوقت ؟

﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾

[سورة الأنعام : ١٤١]

الصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة كلها مرتبطة بالوقت ، إذاً الوقت شيء مهم جداً في حياة الإنسان .

أوقات العبد أربعة :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ قال أحد العارفين : أوقات العبد أربعة ، معنى أوقات هنا في قول أحد العارفين أي أحواله ، أي جاءته مصيبة في هذا الوقت ، فهذا وقت مصيبة ، جاءته نعمة في هذا الوقت ، فهذا وقت نعمة ، زلة قدمه في هذا الوقت ، فهذا وقت معصية ، فعل الطاعات في هذا الوقت ، هذا وقت طاعة . قال أحد العارفين : أوقات العبد أربعة ، لا خامس لها ، النعمة ، والبليّة، والطاعة ، والمعصية ، فمن كان في وقت الطاعة فعليه أن يشهد فضل الله عليه إذا أعانه عليها .

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

[سورة الفاتحة : ٥]

إذا كنت في طاعة إياك أن تزكي ، إياك أن تقول : أنا لي إرادة قوية ، الله سبحانه وتعالى تفضل عليك ، وأعانك على نفسك ، ولو شاء لضعف مقاومتك فانهارت قواك ، وزلت قدمك ، ووقعت في المعصية ، إذا كنت في طاعة ، وإذا كنت في مسجد ، وإذا كنت في صلاة ، وإذا صمت رمضان ، وإذا حججت البيت ، وإذا أديت زكاة مالك ، وإذا غضضت بصرك ، وإذا تحريت الحلال ، وإذا أنفقت المال في وجوهه ، اسجد لله سجود الشكر على أن وفقك لطاعته . والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تؤكد هذا المعنى ، وإذا كنت في نعمة ، جاءك خبر سار ، جاءتك نتيجة تحليل ابنك الطبي سارةً اسجد سجود الشكر ، إذا كنت في طاعة فاشهد لله المنة والفضل ، وإذا كنت في نعمة فاسجد لله سجود الشكر ، هو الذي حفظك ، هو الذي حفظ أهلك ، هو الذي حفظ أولادك .

أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه ؟ قال : يا رب لم أنفق منه شيئاً على أحد مخافة الفقر على أولادي من بعدي ، فقال الله له : ألم تعلم بأني أنا الرزاق ذو القوة المتين ، إن الذي خشيته على أولادك من

بعدك قد أنزلته بهم . والعبد الآخر قال : يا عبدي أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه ؟ قال يا ربي أنفقته على كل محتاج مسكين ، لتقتي بأناك خير حافظاً ، وأنت أرحم الراحمين . قال : يا عبدي أنا الحافظ لأولادك من بعدك ، إذا كنت في طاعة فاشهد الله المنة والفضل ، وإذا كنت في نعمة فتذكر المنعم ، من هو الكافر ؟ الكافر يتمتع بالنعمة كما يتمتع بها المؤمن ، ولكن البون شاسع ، الكافر يتمتع بالنعمة ، ولا يرى المنعم ، لكن المؤمن يتمتع بالنعمة ويرى من خلالها المنعم ، الكافر مع النعمة والمؤمن مع المنعم ، وبون شاسع بينهما هذه الحالة الثانية .

إذا كنت في طاعة اشهد الله المنة والفضل ، وإذا كنت في نعمة فاسلك سبيل الشكر ، وإذا كنت في معصية فلا تقنط من رحمة الله ، ائله قوله تعالى :

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾

[سورة الزمر : ٥٣]

لو جننتي بملء الأرض خطايا غفرتها لك ولا أبالي ، تذكر قول بعضهم : الصلحة بلمحة ، تذكر أن العبد العاصي إذا رجع إلى الله عز وجل ناد مناد في السموات والأرض أن هنيؤوا فلاناً فقد اصطلح مع الله عز وجل ، تذكر هذا كله .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ والحالة الرابعة : وإذا كنت في بلية لا سمح الله ولا قدر جاءك خبر لا ترضى عنه ، جاءك خبر سيئ ، اعتلت صحة الإنسان ، فقد جزءاً من ماله ، أصاب أهله بعض مكروه ، إذا كنت في بلية فتذكر أنها بلية من الابتلاء ، أنت في امتحان ، فإذا قلت : الحمد لله رب العالمين فقد نجحت ، والله سبحانه وتعالى بيده كل شيء ، يبدل ويغير ، ينسبك هذه البلية لمجرد أن تحمد الله عليها .

لسيدنا عمر هذه الكلمة التي لا أشبع من ترادها ، كان إذا أصابته مصيبة قال كرم الله وجهه : " الحمد لله ثلاثاً ، الحمد لله إذ لم تكن في ديني " .

إذا لم تخرق قواعد الشرع ، أنت في خير ، لم تقع في معصية أنت في خير ، لم تأكل مالاً حراماً أنت في خير ، لم تطلق بصرك في الحرام أنت في خير ، لم تفعل كبيرة أنت في خير ، أنت في خير ما دمت مستقيماً ، ولو ألمت بك الملامات ، " الحمد لله إذ لم تكن في ديني ، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها ، والحمد لله إذ ألهمت الصبر عليها " ، هذا شأن المؤمن أيها الأخوة ، أتريدون على هذه النقاط دليلاً من كتاب الله ؟ هذا قول أحد العارفين ، وكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه ، إلا صاحب هذه القبة الخضراء قول أحد العارفين دليل من كتاب الله في موضوع الطاعة قال تعالى :

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة يونس : ٥٨]

إذا كنت في طاعة فافرح ، لأنه كفاك نصراً على عدوك أنه في معصية الله .

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة يونس : ٥٨]

وفي آية أخرى :

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة الزخرف : ٣٢]

المسافة الشاسعة بين طاعة الله و بين معصيته :

ثمة شيء أحب أن أضعه بين أيديكم ، أن تقول شيئاً ، وأن تعيشه مسافة شاسعة بينهما ، أن تقول: ألف مليون ، هذه كلمة يقولها أي فقير ، وأن تملك هذا المبلغ مسافة كبيرة جداً جداً بين أن تلفظ هذه الكلمة ، وبين أن تملكها ، بين أن تقول : رضيت بالله رباً ، وبين أن ترضى به فعلاً ، بين أن تقول كما يقول عامة المسلمين : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأنت تغلي من شدة الندم ، وأنت تغلي من شدة الألم ، وبين أن تقولها وأنت في مستواها ، لذلك من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي أفضل منه فقد حقر ما عظم الله عز وجل ، لذلك قال الله عز وجل :

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[سورة الأحزاب : ٧١]

فإذا كنت في طاعة الله وترى أنك محروم ، إنك لا تعرف الله عز وجل . إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق وحبيب الحق ، سيد ولد آدم ، كان إذا أراد أن يصلي صلاة الليل رفعت السيدة عائشة رجلها ، لأن غرفته لا تتسع لصلاته ونومها . من أنت ومن أنا إذا كان هذا مقام النبي ؟ الدنيا جيفة طلابها كلابها ، الدنيا دار من لا دار له ، ولها يسعى من لا عقل له ، يكفي أنها فانية ، يكفي أنها زائلة ، لو أنك ملكت كل شيء ، لا بد من أن تفقد كل شيء في ثانية واحدة ، يكفي أن يستريح هذا القلب عن النبض ، فإذا الأشياء كلها ليست لك ، وإذا أنت تحت أطباق الثرى ، هكذا الحياة ، فذلك التعلق بالدنيا نوع من الغباء ، تعلق برحمة الله ، اغتتم هذا الوقت للعمل الصالح ، هذا في الطاعة ، أما في النعمة :

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةً طَيِّبَةً رَبِّ غَفُورٌ﴾

[سورة سبأ : ١٥]

فكانت تعظم عند النبي عليه الصلاة والسلام النعمة مهما دقت ، إذا شربت كأس ماء ، وهذا الطريق سالك ، شربته وأخرجته فأنت في نعمة كبرى ، الكليتان تعملان بانتظام ، إذا أكلت الطعام الذي خلقه الله لك فأنت في نعمة كبرى ، هناك من يضع السيروم في وريده ، إذا كنت تمشي على قدميك فهذه نعمة لا تقدر بثمن ، إذا كان عقلك في رأسك ، هذه نعمة لا تقدر بثمن ، إذا متعك الله بسمعك وببصرك ، متعك الله بلسان طليق ، متعك الله بنظافة أخلاقية ، أنت في نعم لا تعد ولا تحصى ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي))

[الترمذي والحاكم عن ابن عباس]

وأما في المعصية فتذكر قول الله عز وجل :

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾

[سورة الزمر : ٥٣]

إن أرحى آية في كتاب الله هذه الآية ، ليس الخطاب لهؤلاء العصاة ، لا ، الخطاب لمن أسرفوا في المعصية ، لمن فعلوا كل معصية :

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[سورة الزمر : ٥٣]

مالك بن دينار ، كان من قطاع الطريق ، جاءتته طفلة صغيرة جميلة ، توفيت في أجمل أوقات حياتها ، رأى في المنام تتيناً يتبعه ، وقد امتلأ قلبه فزعاً ، هو يركض والتتين يتبعه، إلى أن رأى ابنته المتوفاة على رابية ، فعلت هكذا فوقف التتين ، قال : من أنت ؟ قالت: أنا عمك الصالح يا أبي ، قال : وما هذا التتين ؟ قالت : هذا عمك السيئ ، فتاب من توه ، وصار من كبار العارفين . الباب مفتوح ، ما دام القلب ينبض فالباب مفتوح على مصراعيه لا لأن تتجو ، لا لأن تكون مؤمناً ، لأن تكون عارفاً بالله ، لأن تكون من كبار المؤمنين ، وأما في البلية فتذكر قوله تعالى :

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[سورة البقرة : ١٥٥ . ١٥٧]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ورد في صحيح مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول - هذا حديث دقيق جداً تعرفونه أيضاً - :

((عجباً لأمر المؤمن ! إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له))

[مسلم عن صهيب بن سنان رضي الله عنه]

في كلا الحالين لأن اليد واحدة ، ربما كان المنع عطاءً ، وربما كان العطاء منعاً، ربما منعك فأعطاك ، وربما أعطاك فمنعك ، والله هذه الآية وحدها ، والله الذي لا إله إلا هو لو أن هذه الآية وعيناها وعقلناها لذابت مشكلتنا ذوباً .

﴿أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة : ٢١٦]

هو الخبير ، هو الرحيم ، هو الحكيم ، العادل ، هو الرب .

تحري الأوقات التي ميزها الله عز وجل بخصائص روحية :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ المؤمن عليه أن يتحرى الأوقات الفاضلة ، هناك أوقات فضلها الله على أوقات ، هكذا ، هو رب العالمين ، فعلى المسلم أن يتحرى الأوقات التي ميزها الله عز وجل

بخصائص روحية خاصة ، فضلها على غيرها ، والدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام ، فيما رواه الطبراني قال :

((إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا له))

[الطبراني عن محمد بن مسلمة]

هناك نفحات ، هذا التخصيص من شأن الإله وحده ، هو خصص بعض الأوقات ببعض الميزات ، فأنت كمسلم وكمؤمن عليك أن تهتم بهذه الأوقات التي ميزها الله على سواها .
مثلاً في الساعات لماذا فضل الله عز وجل ساعة على ساعة ، الله سبحانه وتعالى فيما رواه النبي عنه في الحديث القدسي ، فضل ساعات السحر في آخر الليل ، هذه الساعات فضلها الله عز وجل ، قال : " إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم - نزولاً يليق بجلاله ، هذا تفسير نزل - نزل ربكم إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له ؟ " عجباً لهذا المؤمن إذا كان الله عز وجل في حديث رواه النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه ، الله سبحانه وتعالى يعرض عليكم هذا العرض ، إذا كنت في مشكلة ، في ضائقة ، تخاف من عدو شرس ، إذا كنت في وهم خطير ، إذا كان لك شبح مشكلة ، هذا قيام الليل في ثلث الليل الأخير ، هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له ؟ إذاً وقت السحر هذا وقت ميزه الله بالتجليات ، قال عليه الصلاة والسلام :

((ولو يعلم الناس ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا))

[الطبراني والحاكم عن ابن عمر]

ابن آدم لا تعجز عن ركعتين قبل الشمس أكفك النهار كله ، أي إذا كنت قد صليت الفجر في وقته ، وفي جماعة ، وذكرت الله عز وجل فأنت في هذا النهار في حفظ الله عز وجل ، في رعايته ، في توفيقه ، الله يدافع عنك في هذا اليوم .

شيء آخر : أشار الله عز وجل في القرآن إلى هذه الساعات قال :

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[سورة الذاريات : ١٥ . ١٨]

هذا دليل من كتاب الله ، على فضل هذا الوقت ، والنبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام الترمذي يقول :

((أقرب ما يكون الربُّ عز وجل من العبد جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ

عز وجل في تلك الساعة فكن))

[النسائي عن عمرو بن عبسة]

هذا عن الساعات ، أما عن الأيام ، وفضل الله من أيام الأسبوع يوم الجمعة ، وفي هذا اليوم صلاة الجمعة ، وهذا يوم عيد المسلمين ، فيه لقاء الجمعة ، وفيه صلاة الجمعة، وفيه خطبة الجمعة ، وفيه عطلة الجمعة لذلك :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾

[سورة الجمعة : ٩]

هؤلاء الذين يضعون في هذا اليوم كل المشكلات الصعبة ، كل القضايا المزعجة، هؤلاء لا يعرفون قيمة هذا اليوم ، لماذا ؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً - سَاعَةً إِجَابَةٌ - لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسَلِّمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ))

[أحمد عن أبي هريرة]

ساعة في هذا اليوم إذا صادفتها تدعو الله عز وجل استجاب لك ، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَىٰ فَكَانَ قَرِيبَ بَدَنَةِ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَانَ قَرِيبَ بَقْرَةَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَانَ قَرِيبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَانَ قَرِيبَ دَجَاجَةَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَانَ قَرِيبَ بَيْضَةَ ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ))

[موطأ مالك عن أبي هريرة]

قيمة هذه الصلاة في خطبتها ، فإذا أدركت صلاتها فقط ، ماذا فعلت ؟ تصلي في البيت إذا شئت ، لكن أهم شيء في الجمعة خطبتها ، لأنها مناسبة أسبوعية للتعلم .

شيء آخر : على مستوى العام ، فضل الله سبحانه وتعالى من أيام العام أيام العشر من ذي الحجة، وأفضلها على الإطلاق يوم عرفة ، بل إن يوم عرفة من أفضل أيام العام كله على الإطلاق. جاء في الصحيح عن ابن عباس :

((ما من أيام أحب إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام - أي العشرة من ذي الحجة - قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا أن يخرج الرجل بنفسه وماله فلا يرجع من ذلك بشيء))

[البخاري عن ابن عباس]

أي أفضل أيام العام عشرة ذي الحجة ، وأفضل يوم على الإطلاق في كل العام يوم عرفة ، هذا للحاج ولغير الحاج .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ وأما في الشهور فقد فضل الله شهر رمضان ، ونحن على أبواب رمضان ، الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس ، وبيانات من الهدى والفرقان .

لأنه شهر المؤمنين ، وعند السيوطي في الجامع الكبير :

((أتاكم رمضان ، شهر البركة والغفران ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب الدعاء ، ينظر الله إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً))

[السيوطي في الجامع الكبير]

صعد النبي المنبر فقال : آمين ، استغرب أصحابه ، أول درجة قال : آمين ، الثانية قال : آمين ، الثالثة قال : آمين ، فلما نزل قالوا : يا رسول الله علام أمنت ؟ قال : جاءني جبريل فقال لي : تعس عبد أدرك أبويه فلم يدخلاه الجنة ، قلت : آمين ، قال : وتعس عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فقلت : آمين ، وقال : تعس عبد أدرك رمضان فلم يغفر له ، إن لم يغفر له فمتى ؟ هذا موسم المؤمنين ، هذا من حيث الشهور ، لكن رمضان - وسوف يأتي معنا هذا بالتفصيل - أفضل ما فيه العشر الأخير ، لأنه ختام الشهر ، والأمور بخواتيمها ، وفيه ليلة القدر ، وليلة القدر لا كيوم عرفة خير أيام العام بل خير من ألف شهر ، أي ليلة القدر خير من ثمانين عاماً ، أي إذا حصلت هذه الليلة ، إذا عرفت الله فيها ، معرفة تليق بجلاله فأفضل من حياتك كلها ، هذا الذي عناه علماء التفسير .

أيها الأخوة الأكارم ؛ وبعد رمضان تأتي الأشهر الحرم ، رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم ، لقول الله عز وجل :

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾

[سورة التوبة : ٣٦]

أي عمل فيه عدوان في هذه الأشهر العقاب يضاعف ، لأن هذه الأشهر جعلها الله أشهر أمان وسلم بين الناس .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها الأخوة الأكارم ؛ ربنا سبحانه وتعالى حرم علينا الدم المسفوح ، وفي كلمة المسفوح إشارة إلى أن هذا الدم فيه الجراثيم ، وهو في الأوردة والشرايين هناك أجهزة بأعلى مستوى للتصفية ، دائماً الكليتان والرئتان ينفيان الدم من الغازات والمواد السامة ، فالكليتان تنقيان من المواد السامة ، والرئتان تنقيان من الغازات السامة ، ولكن إذا ماتت الدابة أصبح الدم موطناً للجراثيم والأوبئة ، فلذلك الشيء الذي يلفت النظر أن العالم الغربي إلى وقت قريب ، وبعد أن اكتشفت الجراثيم صدرت القوانين بتحريم الدم ، وتحريم لحوم الميتة ، بعد أن عرفوا ، ولكن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم قبل ألف و أربعمئة عام حرم علينا الدم المسفوح ، وحرم علينا لحم الدابة الميتة .

الشيء الذي يؤكد هذه الحقيقة أن أي سكين جزار فيها آلاف مؤلفة من الجراثيم، وبمجرد أن تلامس هذه الجراثيم الدم تتوالد كل نصف ساعة و تتضاعف ، أي في ثلاث ساعات من ألف جرثوم إلى مئات مئات الألوف من الجراثيم ، فلذلك لما حرم ربنا عز وجل في كتابه الكريم علينا الدم ، وحرم علينا لحم الميتة ، هذا يتطابق مع أحدث النظريات الحديثة المتعلقة بتكاثر الجراثيم وبالعدوى ، حينما تقرأ القرآن يجب أن تعلم أن هذا كلام الصانع .

﴿وَلَا يَنْبُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

[سورة فاطر : ١٤]

ليس من جهة أعظم خبرة ، وأعظم صواباً من خالق الكون .

تعليمات الصانع ليست حداً للحرية و لكنها ضمان للسلامة :

فلذلك إذا أحببت نفسك ، إذا أردت أن تتجو بجلدك من متاعب الحياة ، فطبق تعليمات الصانع ، وهذا القرآن الكريم هو تعليمات الصانع ، هذا الذي ينبغي أن يفهمه المؤمن ، أي ليست أوامر الدين حداً لحريةك هذا فهم ساذج ، إذا رأيت عمود كهرياء كتب عليه : خطر الموت ، تشعر أن المسؤولين وضعوا هذه اللوحة ليحدوا من حريةك ؟ لا والله ، إنما وضعوها ليضمنوا لك سلامتك .

يجب أن تفهم الدين هذا الفهم العميق ، إذا رأيت جسراً ، وعليه لوحة كتب عليها : الحمولة القصوى خمسة أطنان ، وأنت تقود شاحنة حمولتها سبعة أطنان ، فإذا أردت أن تسير على هذا الجسر ، هل تقول : هل أخالف ؟ هل هناك من يراقبني؟ لا ، القضية أعمق من ذلك ، إذا مررت على هذا الجسر فلا بد من أن تسقط في النهر ، هذه اللوحة التي كتبت على هذا الجسر ليست لحد حريةك ، ولكنها ضمان لسلامتك ، هذا ينبغي أن يفهمه المؤمن ، أي إن هناك علاقة علمية ، بمعنى أن هناك علاقة سبب بنتيجة بين الطاعة ونتائجها ، وبين المعصية ونتائجها ، فلمجرد أن ترتكب المعصية تقطف ثمارها ، ثمارها فيها ، أية طاعة ثمارها فيها ، وأية معصية ثمارها فيها ، وأمر الله عز وجل ليس حداً من حريةك ، إنما هو ضمان لسلامتك ، فربنا عز وجل حدّ حدوداً قال :

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾

[سورة البقرة : ٢٢٩]

أما هناك حدود ، كهذا التيار الكهربائي العالي التوتر ، حول هذا التيار ساحة تجذب إليه ، إذا كانت المعاصي من هذا النوع تنطبق عليك الآية الأخرى :

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾

[سورة البقرة : ١٨٧]

بين فلا تعتدوها ، وبين فلا تقربوها مسافة كبيرة ، الحدود التي من شأنها أن تجذب الإنسان إليها هذه لا تقربوها .

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا﴾

[سورة الإسراء : ٣٢]

الزنا خطوات .

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾

[سورة البقرة : ١٨٧]

أما أكل المال الحرام :

﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾

هناك لا تقربوها ، وهناك لا تعتدوها ، وعلى كل هي حدود سلامتك ، إذا قلنا : حدود الله هي حدود سلامتك ، حدود أن يرضى الله عنك ، حدود إقبالك على الله ، حدود أن تستحق عناية الله بك ، حدود أن تستحق حفظ الله لك ، إذا كنت في طاعة الله فأنت في ذمة الله ، أنت في حفظ الله ، وفي توفيقه ، ولو أننا بحثنا عن كل طاعة ، وعن كل معصية لعرفنا أن الطاعة تنطوي على خير ليس له حدود ، والمعصية تنطوي على شر ليس له حدود ، ولكن الإنسان عليه أن يفهم ، وعليه أن يسلم فيما لا يفهم .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمننا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا

تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين